

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَآكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (53)

شرح الكلمات:

{ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ } مِنَ الْإِنْجِيلِ

{ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ } عِيسَى

{ فَآكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } لَكَ بِالوَحْدَانِيَّةِ وَلِرَسُولِكَ
بالصدق

المعنى الإجمالي :

تَضَرَّعَ الْحَوَارِيُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ قَائِلِينَ: رَبَّنَا صَدَّقْنَا بِمَا أُنزِلَتْ مِنَ الْإِنْجِيلِ،
وَاتَّبَعْنَا رَسُولَكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ شَهِدُوا لَكَ
بِالوَحْدَانِيَّةِ وَلَأَنْبِيَائِكَ بِالرِّسَالَةِ، وَهُمْ أَمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لِلرَّسُولِ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا أَمْرَهُمْ.

وقولهم: { رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ } كلمة { بِمَا أُنزِلَتْ } تدل على منهج
منزل من أعلى إلى أدنى، ونحن حين نأخذ التشريع فنحن نأخذه من
أعلى. ولذلك قلنا سابقا: إن الله حينما ينادي من آمن به ليتبع
منهج الإيمان يقول: «تعالوا» أي ارتفعوا إلى مستوى التلقي من
الإله وخذوا منه المنهج ولا تظلموا في حضيض الأرض، أي لا تتبعوا
أهواء بعضكم وآراء بعضكم أو تشريع بعضكم، وما دام المؤمن
يريد العلو في الإيمان فليذهب بسلوكه في الأرض إلى منهج
السماء.

وقولهم: { رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ } . إن المتبع عادة يقتنع
بمن اتبعه أولا، حتى يكون الاتباع صادرا من قيم النفس لا من
الإرغام قهرا أو قسرا، فنحن قد نجد إنسانا يرغب إنسانا آخر على
السير معه، وهنا لا يقال عن المرغم: إنه «اتبع» إنما الذي يتبع، أي
الذي يسير في نفس طريق صاحبه يكون ذلك بمحض إرادته ومحض
اختياره. فلو سار شخص في طريق شخص آخر بالقهر أو القسر
لكان ذلك الاتباع بالقالب، لا بالقلب.

وقال الحواريون بعد إعلانهم الإيمان بما جاء به عيسى: { فَآكُتِبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ } إنه الطلب الإيمانى العالى الواعى، الفاهم. إنهم يحملون
أمانة التبليغ عن الرسول، ويشهدون كما يشهد الرسل لأمتهم،
ويطلبون أن يكتبهم الله مع الذين يشهدون أن الرسل يبلغون
رسالات الله وأنهم يحملونها من بعدهم؛ ولذلك قلنا عن أمة محمد
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إنها الأمة التي حملها الله مهمة وصل بلاغ
الرسالة المحمدية إلى أن تقوم الساعة. ولذلك فلن يأتي أنبياء أو رسل
من بعد أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لقد ائتمن الله أمة محمد؛
بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذلك فلا نبوة من بعد رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقوله تعالى: { رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَآكُتِبْنَا مَعَ
الشَّاهِدِينَ } من قول طائفة مؤمنة، ناصرة لله ولرسوله، هم خيار
أهل الإيمان في زمانهم، وليس من قول قوم كافرين أو منافقين.

فوائد الإيمان وثمراته:

- 1- الاحتباط بولاية الله الخاصة التي هي أعظم ما تنافس فيه
المتنافسون، وتسابق فيه المتسابقون، وأعظم ما حصل عليه
المؤمنون.
- 2- الفوز برضى الله ودار كرامته.
- 3- أن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكاره، وينجّهم من الشدائد،
- 4- أن الإيمان والعمل الصالح يثمر الحياة الطيبة في هذه الدار، وفي
دار القرار.

5- إن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل
بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان
والإخلاص.

6- أن صاحب الإيمان يهديه الله إلى الصراط
المستقيم، ويهديه إلى علم الحق.

7- حصول البشارة بكرامة الله والأمن التام من
جميع الوجوه.

8- حصول الفلاح -الذي هو: إدراك غاية
الغايات.

9- الإيمان يقطع الشكوك التي تعرض لكثير من
الناس فتضر بدينهم.

10- الإيمان ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم: من
سرور وحزن وخوف وأمن، وطاعة، ومعصية، وغير
ذلك من الأمور التي لا بد لكل أحد منها.

أنواع التوسل المشروع أربعة هي:

- 1- التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته
العلی.
- 2- التوسل إلى الله بالعمل الصالح الذي قام به
الداعي: وله شروط منها: أ/ أن يكون عمله مشروعاً.
ب/ أن يكون أخلص فيه فلا عجب ولا رياء.
- 3- التوسل إلى الله تعالى بذكر حاله: يعني أن الداعي
يتوسل إلى الله بذكر حاله وما هو عليه من
حاجة وفيه قول موسى-عليه السلام-: {رب إني لما
أنزلت إلي من خير فقير} يتوسل إلى الله بذكر حاله أن
ينزل إليه الخير.
- 4- التوسل بدعاء الصالحين: وهو التوسل إلى الله
تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الذي ترجى إجابة
دعائه عند الله تبارك وتعالى.

الفوائد :

- 1- الإسلام دين الأنبياء وسائر الأمم البشرية ولا دين حق غيره فكل دين غيره باطل.
- 2- فضل أهل لا إله إلا الله إذ هم شاهدون بالحق والناطقون به.
- 3- هذا الدعاء صالح أن يدعو به كل مؤمن، فيعلن إيمانه ويسأل الله تعالى أن يكتبه مع الشاهدين الذين يشهدون بصدق الرسل عليهم السلام.
- 4- أوجب الله تعالى الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها على رسله، ما ذكرها لنا في القرآن الكريم وما لم يذكرها لنا؛ وذلك على السواء، نؤمن بما أمّا كلام، تكلم بما حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد.
- 5- يجب أن نؤمن بهذه الكتب السماوية؛ ومن الإيمان أن نؤمن بما سمي لنا منها على وجه الخصوص: كالتوراة والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى.
- 6- التوراة والإنجيل قد ذكرا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمرنا باتباعه عند ظهوره؛ فإقامتهما معناها: الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من وحي.. أي الإسلام.
- 7- إن شجرة الإيمان إذا ثبتت وقويت أصولها وتفرعت فروعها، وزهت أغصانها، وأبنت أبنائها عادت على صاحبها وعلى غيره بكل خير عاجل وآجل في الدنيا والآخرة.
- 8- أعلنوا إيمانهم، وسألوا الله - تعالى - أن يجعلهم مع الذين شهدوا لرسل الله بالتبليغ، وبالصدق، وهذا مؤذن بأنهم تلقوا من عيسى - فيما علمهم إياه - فضائل من يشهد للرسل بالصدق.
- 9- إن أعظم ما يحبه الله من عبده هو قوله: (لا إله إلا الله)، ولا ينفع أن يقولها العبد دون العلم بمعناها والعمل بمقتضاها، فمن قالها موقفاً عاملاً بما دخل الجنة، إذ هي مفتاح اللولج إلى الإسلام، ومن لم تبلغهم هذه الكلمة فإن الله يبعث لهم رسولاً يوم القيامة يدعوهم إليها، فإن أطاعوه دخلوا الجنة، وأن كذبوه دخلوا النار.

- 10- العبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى.
 - 11- لا حرج على المسلم في أن يتوسل إلى ربه بصالح عمله.
 - 12- التوسل إلى الله بصالح العمل من أقسام التوسل المشروع عند أهل السنة والجماعة، ولا يعتبر من باب المن على الله بالعمل، بل هو من باب التذلل والافتقار، لكن ينبغي مراعاة اللفظ عند الدعاء، ففرق بين أن تقول: اللهم أدخلني الجنة، لأني صمت، وبين أن تقول اللهم كما صمت رمضان ابتغاء مرضاتك فأسألك أن تدخلني الجنة، فاللفظ الأول ظاهره المن، والثاني ظاهره في التوسل والتذلل إلى الله تعالى.
 - 13- التوسل إلى الله بالعمل الصالح . وهو أن يذكر الإنسان بين يدي دعائه عملاً صالحاً يكون سبباً في حصول المطلوب.
 - 14- أهل الإيمان والعمل الصالح فأولئك يُوفِّيهم أجرهم دون نقصٍ: في الدنيا بالنصرِ والتَّمكنِ، وفي الآخرة بالجنة والرضوان من الله تبارك وتعالى، والله لا يحب الظالمين.
 - 15- الخواريون : أصحاب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وأنصاره ، وهي فئة مؤمنة ، ذكرهم الله في كتابه وأثنى عليهم ووصفهم بالإسلام والإيمان .
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
- " وَأَمَّا الْخَوَارِثُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - ذَكَرَهُمْ فِي الْقُرْآنِ وَوَصَفَهُمْ بِالإِسْلَامِ وَاتَّبَعَ الرَّسُولَ وَبِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَكَمَّا أُنْزِلَ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : (فَلَمَّا أَحْسَنَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)
- الله اعلم .. وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (430)



قَوَائِمُ مِنْ تَفْسِيرِ السُّورَةِ بِإِلَهِ عَزَّ وَجَلَّ 53

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)